تعليم اللغة العربية للناطقين بلهجاتها (الإزدواجيين)

الطالبة:سناء عبداللي

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة محمد خيضر–بسكرة (الجزائر)

الملخص:

إن ما يواجه تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية لم يكن موجودا عند العرب القدامى، فقد كانت الفصحى لغتهم الأم –بغض النظر عن الوجود اللهجي الذي لا يبتعد كثيرا عن الفصحى–فكان الجميع يستعمل لغة عربية فصيحة وحتى بعد ظهور علوم النحو والصرف... وشياع تعليمها، لم تنقل إلينا روايات عن نفور تام وعجز مفرط للطلبة كالذي يعيشه الوضع اللغوي حاليا ،فما الشيء المستحدث الذي يفصل لغتنا عنا ويجعلها تصعب علينا دون أجدادنا ؟

نحن لسنا كأجدادنا –عرب ناطقين باللغة العربية–، نحن عرب ناطقين بلهجات عربية، لذا تعتبر ظاهرة الازدواجية في اللغة العربية من أهم المشكلات اللغوية التي تواجه الوطن العربي، وعليه وجب وضعها في الاعتبار لتعليم اللغة العربية بطريقة أكثر فعالية.

من هذا المنطلق سأتناول قضية الازدواجية بالتعريف وربطها بالوضع اللغوي العربي ومناقشة الوضع في ضوء الدراسات الحديثة وفي سياق مناهج تعليم اللغة العربية وتعليمها في الجامعة الجزائرية لاستخلاص نتائج واقتراحات.

Summary:

The difficulties associated with teaching the Arabic language in the Arab universities have never faced the ancient Arab people because Arabic was their mother tongue despite the fact that they had many slang or non-standard languages which in fact were not far from the standard version of Arabic. Everyone was using Arabic perfectly and even after the appearance of Grammar as a teaching subject , there were no stories about students' learning inabilities like the ones learners are suffering from nowdays.So, what's the new thing coming between us and our language and what's making it difficult to be learnt???

We are not like our ancestors, real Arab people speaking with an Arabic tongue. We are Arabs who speak with different versions of non-standard Arabic. So the phenomenon of bilingualism in the Arabic language is one of the most important linguistic problems that face the Arab world that is why we should take it into consideration in trying to teach the Arabic language more effectively. Taking this as my starting point, i am going to tackle the phenomenon of bilingualism , to link it with the Arabic linguistic situation and to discuss it with the light of the modern studies and the Arabic teaching methods in the Algerian universities so as to get out some results and situations.

مقدمة:

احتلت اللغة العربية منذ القديم مكانة مرموقة ،فهي من أكبر لغات المجموعة السامية الصامدة لحد الآن ،هي لغة الملايين حول العالم وما زاد عزتها وثبوتها هو القرآن الذي نزل بها ،فجعلها لغة دين إسلامي لا لغة عرب ،فلا تتم الصلاة عند المسلمين إلا بكلمات عربية وبذلك فرض استعمالها على كل مسلم عربيا كان أم لم يكن .

لكن الواقع الذي تعيشه العربية لا يعكس كل هذا ،فاللغة العربية اصبحت غريبة في دارها ،أصبحت لا تختلف عن لغة أجنبية ،لا يعي الغريب معناها وأصبح تعليمها يعاني العديد من المشكلات ...وهذا مادفع إلى التساؤل :أين تعيش العربية لتغترب؟وإذا اغتربت فمن حل محلها ؟وما السبيل إلى إرجاع الغريب أو إقناع أهله بقبوله مرة أخرى ؟.

1-الخصائص اللغوية للعالم العربي:

قبل الحديث عن تعليم اللغة العربية في العالم العربي لا بد من إلقاء نظرة على الخصائص اللغوية الاجتماعية للعالم العربي ...فسنجد أن هذا العالم يعيش تعدد مستويات لغوية أدت إلى خلق صراع لغوي سواءا كان" **داخليا كالإزدواجية اللغوية أو خارجيا كالثنائية اللغوية "**[1] .

ويختلف مفهوم الازدواجية(Diglossia) [2] عن مفهوم الثنائية(Blingnalism) ،"**فالازدواجية:ظاهرة يتم فيها إستخدام نمطين لنفس اللغة للأغراض الإجتماعية المختلفة ،أما الثنائية فهي ظاهرة إستخدام لغتين مختلفتين في نفس المجتمع**"[3] .

واستنادا الى هذا فالعالم العربي يعيش إزدواجية ،إذ لا تخلو دولة عربية من إستعمال هجين واستعمال فصيح ،ووجود إزدواجية لغوية في اللغة العربية "**من أهم المشكلات اللغوية التي تواجه الوطن العربي**"[4]، فإحياء هذه اللهجات كان على حساب اللغة العربية وعدم العدل والميل كل الميل إليها أثر على إكتساب الفصحى ،فقد كانت هذه اللهجات "**ضرات للغة العربية وتمزيقا للعالم العربي**"[5] .

ولسنا هنا في مقام للنداء بتطليق هذه الضرات ،فهذا من باب المحال وكما يقول عباس محمود العقاد:"**إن في كل أمة لغة كتابة ولغة حديث وفي كل أمة لهجة ابتذال ...وسيظل الحال على هذا ما بقيت اللغة...فالفصيحة باقية والعامية باقية،وإذا جاز أن ننسى الفوارق والإحساس والشارة والمقام فهنا يجوز أن تلغى القواعد وتبطل اللهجات** "[6]،إنما نحن نحاول وصف الواقع اللغوي لمعرفة أسباب فشل تعليم اللغة العربية .

وإذا كان الحال على هذا فنحن "إزدواجيون"نملك لهجة ولغة فصيحة ،نولد باللهجة ونتواصل بها في جميع الأوضاع تقريبا أما الفصحى فهي قليلة الاستعمال لا نعرفها إلا في مواقف محدودة —هذا إن عرفناها-فتعاملنا بالدارجة طغى على الفصحى وحتى هذه اللهجة نفسها تعاني ثنائية لغوية ،كما هو الحال في الجزائر التي نسمع فيها عامية مختلطة بالفرنسية أو إحدى اللهجات البربرية وكل هذا يعثر ويعرقل عملية تعليم اللغة العربية فهي تبتعد عن أصحابها يوما بعد يوم .أما الرأي القائل بأن التعدد اللهجي لا علاقة له بالعملية التعليمية وأن اللهجة صورة من صور الفصحى "**وأنه شيء طبيعي حصل في جميع اللغات ...ويمكن الاقتدار عليه**"[7] بل هو موجود من أيام العرب القدامى ،نرد عليه بأن اللهجات العربية القديمة شديدة القرب إلى الفصحى بل لا تبتعد عنها كثيرا وهذا ما ساعد على إتقان اللغة

الفصحى عند العرب القدامى ،لكن ما تعرفه لهجتنا الآن أقرب إلى ما يسمى "بالخالوطة"من فرنسية إلى بربرية إلى لهجة عربية-هذا إن حالفها الحظ-.

وبالتالي حظ الطلاب الإزدواجيين من العربية الفصحى جد قليل ،وبعدهم عنها يجعلها أشبه بلغة أجنبية عنهم.

ربما يستغرب البعض وينتفض لجعل اللغة العربية أشبه بلغة أجنبية ،فنرد عليه ونقول أليس مفهوم اللغة الأجنبية :"**لغة السكان الأصليين لبلد آخر وهي أيضا لغة لا يتحدث بها البلد الأم للشخص المشار إليه**"[8] ،والسكان الأصليون هم العرب القدامى واللغة الفصحى تقريبا لا يتحدث بها العرب فهم يستعملون غالبا –إن لم يكن دائما- العامية (التي تعاني من ثنائية)أو لغة أجنبية من فرنسية و إنجليزية...،وعليه يجب علينا أن نضع في الحسبان عند تدريس اللغة العربية أننا لا ندرس عربا بل إزدواجيين ولا ندرس لغة بلد أصلية بل لغة شبيهة باللغة الأجنبية .

2-طرق تدريس اللغة الشبه أجنبية :

إن البرامج الموضوعة لتعليم اللغة العربية في الجامعات الجزائرية لا تعي –أو لا تريد ان تعي –أن طلبتها ليسوا بعرب بل إزدواجيون تعاني إزدواجيتهم من الثنائية وأن اللغة العربية لم تعد لغة أصلية عندهم بل شبه أجنبية ،فيتخرج الطالب متخصصا في اللغة العربية وهو يخجل من التكلم خشية ظهور الأخطاء بل يعجز عن كتابة طلب عمل بلغة صحيحة ،والواقع يقول أن المتعلم"**كلما سار خطوة في تعلم اللغة العربية إزداد جهلا ونفورا منها وصدودا عنها...بل قد تصل ببعضهم درجاتهم العلمية إلى مراكز قيادية في هيئة التدريس الجامعي بأقسام اللغة العربية فيعانون من تلك الأخطاء التي تصدر منهم وبشكل كبير** "[9]،لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أن طلبتنا ازدواجيون واللغة العربية بالنسبة لهم شبيهة باللغة الأجنبية ،سنراعي جوانب كانت مهملة وكان لها أثر كبير في تعليم اللغة العربية في الجامعات . لأن تدريس اللغة العربية فيها يخلو من أي تقنيات حديثة وغالبا ما يتم التركيز فيه على الجانب النظري الذي لا فعالية للطالب فيه ،ويتناسى أن هذا الأخير لا يستعمل ولا يستمع إلى هذه اللغة بالقدر الكافي، ويريد مباشرة أخذه إلى الإستعمالات البليغة المعقدة من النصوص القديمة وهو لا يعي المستوى البسيط ...ثم يعيب فيه ضعفه وأخطاءه الشفاهية ؟؟...

ولذا يجب أن نستفيد من مناهج تعليم اللغات الأجنبية لأن هذه الأخيرة تراعي نقص الجانب الإستعمالي للطلاب وتعمل على تعزيز ذلك وتعويضه لكي يصل الطالب إلى المستوى المطلوب في تعلم تلك اللغة، ونفس الشيء يعانيه طلبة اللغة العربية لذا جعلناها بالنسبة إليهم شبه أجنبية.

إن أكثر شيء يتعلق بالتدريس هو :الأسلوب المتبع(technique)الذي يتميز بأنه:

"**تطبيقي يأخذ مكانه فعلا في حجرة الدراسة ويتمثل في خدعة(trick) أو إختراع معين تستخدم لتحقيق غاية مباشرة**"[10] ،لكن ما تفعله مناهجنا التقليدية هو جعل اللغة العربية "**مجرد مادة يتعلمها ويؤدي بها الامتحان**"[11].أما المهارات اللغوية الشفوية فهي مهمله إهمالا مطلقا بالرغم من أنها الأساس في إكساب أي لغة والطالب المسكين على جهل كبير بها،"**حيث لا يدرس في مواقف حقيقية بل مواقف اصطناعية بعيدة عن فكر التلميذ**"[12] فيخرج الطالب من الجامعة ولم يتغير كثيرا عن وضع دخوله...

لكن إذا ألقينا نظرة على مناهج تعليم اللغات الأجنبية(فرنسية ،إنجليزية..) في الجامعات الجزائرية نجد أنها تنجح نسبيا في تحقيق مرادها –على الأقل أحسن منا–رغم أن مهمتهم أصعب من مهمة تدريس اللغة العربية ،وسبب ذلك وضعهم للتلميذ في الوسط اللغوي واعتمادهم على الطرق السمعية والشفوية والإستفادة من التقنيات المعاصرة في التعليم.

فقد درسوا اللغة بصورة تطبيقية حيوية في الوقت الذي تعجز فيه تعليمية اللغة العربية عن الوصول إلى المستوى البسيط من الفصاحة ،ولو قارنا بين قسم اللغة العربية في معظم الجامعات الجزائرية وبين أقسام اللغات الأخرى سيظهر كخيمة وسط ناطحات السحاب ،فمازال طلبة اللغة العربية يلتفون بأقلامهم وكراريسهم بصمت وبعجز حول أساتذتهم[13] في الحين الذي تزخر فيه أقسام تعليم اللغات الأجنبية بالتطور التكنولوجي ومواكبة العولمة ،فقد ظهر" **تطور استخدام التكنولوجيا الحديثة في تعليم اللغات ،وظهور الحاسبات الآلية والأجهزة الصوتية والمرئية واستعمال الوسائط المتعددة في التدريس**"[14]،فأين أنتم يا معشر الأساتذة والطلبة من كل هذا؟ ثم نتساءل بكل غباء عن سبب نفور طلبتنا من قسم اللغة العربية وعن النظرة الدنيوية والإنهزام [15]،وعليه وجب علينا الاعتماد على:

–الطريقة السمعية الشفوية(audio–ligual method): وهي طريقة ترى أن "**اللغة كلام وليست كتابة،وأنها مجموعة من العادات ،وأنها ما يمارسها أهلها وليست ما يظن أنها ينبغي أن تمارس.**

من أهم افتراضات هذه الطريقة ومبادئها التدريسية ما يلي:

1. **اللغة أساسًا كلام، أما الكتابة فهي تمثيل جزئي للكلام. ولذلك يجب أن ينصب الاهتمام في تعليم اللغات الأجنبية على الكلام، وليس على القراءة والكتابة.**
2. **يجب أن يسير تعليم اللغة الأجنبية بموجب تسلسل معين هو: الاستماع، ثم الكلام، ثم القراءة، ثم الكتابة. وهذا يعني أن يستمع المتعلم أولا، ثم يقول ما استمع إليه، ثم يقرأ ما قال، ثم يكتب عما قرأ.**
3. **طريقة تعلم اللغة الأجنبية تماثل طريقة اكتساب الطفل لغته الأم. فهو يستمع أولا، ثم يحاكي ما استمع إليه، ثم يذهب إلى المدرسة ليتعلم القراءة ثم الكتابة.**
4. **أفضل طريقة لاكتساب اللغة الأجنبية هي تكوين العادات اللغوية عن طريق المران على القوالب.**
5. **إن ما يحتاج إليه المتعلم هو تعلم اللغة الأجنبية، وليس التعلم عنها. وهذا يعنى أنه بحاجة إلى التمرن على نطقها، ولا إلى معرفة قوانينها وتحليلاتها اللغوية." [16].**

وحقيقة وجدنا أن هذه اللغة معتمدة في تدريس اللغة الإنجليزية في الجزائر[17]،إذ يتم تدريس المقاييس التالية:

1- التعبير الشفهي(oral expression):وهو مقياس يرافق الطالب لمدة ثلاث سنوات ،يعتمد فيه على العرض الشفهي– لاغير – لموضوعات مقترحة سابقا فتناقش بصفة جماعية بالإضافة إلى فتح مواضيع حرة حسب ميولات الطلبة والواقع المعاش ،وبذلك يكسر حاجز الخجل وتنمى القدرات الشفاهية وفق التقويم المباشر.

2–تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية(teching english as a foreign language) :

وهنا يتم الإعتماد على شاشات عرض لمقاطع صوتية،أفلام، حصص،أغاني...[18]وتختبر مهاراته اللغوية على الترتيب :إستماع، كتابة ماسمع ،نطقة ومحاكاته.

3-القراءة التقنية-RT-(Reading techniqe):وفيها يطالب الطالب بقراءة كتب، تلخيصها، تحليلها ...ومن ثم يكتسب اللغة اكتسابا رائعا لأنه اندمج فيها بكل معنى الكلمة.

وهذا ما يجب أن يوفر لطالب اللغة العربية (الطالب الإزدواجي للغة الشبه أجنبية) فمن مزايا هذه الطريقة السمعية الشفوية:" **1. إنها تنطلق من تصور صحيح للغة ووظيفتها كوسيلة للاتصال بين الناس.**

2. إن الترتيب الذى يتم به تدريس المهارات اللغوية الأربع استماع فكلام فقراءة فكتابة ترتيب يتفق مع الطريقة التي يتعلم بها الإنسان لغته الأولى.

3. تشبع هذه الطريقة كثيرا من الحاجات النفسية عند الدارسين من حيث تمكينهم من استخدام اللغة وتوظيفها."[19]

وبذلك سيجد الطالب ضالته وسيجد مجالا أوسع للتعاطي مع اللغة العربية وكسر حواجز الجهل والخجل ،لكن تجدر الإشارة إلى أن هذه الطريقة قد واجهت إنتقادات أهمها: **"الكلام ليس الشكل الوحيد للغة ،وهي ترتكز على الكلام على حساب المهارات اللغوية الأخرى"**[20] ،لذا فدعوتنا هذه تناذي بدمج هذه الطريقة مع الطرائق المعتمدة عليها قديما لكي لا نزيد الطين بلة.

خاتمة:

أصبحت اللغة العربية لغة غريبة قلما تستعمل وإذا استعملت فقلما يخلو ذلك الاستعمال من الأخطاء،فاللهجة سيطرت عليها ،وهذا ما يجعل طلبتنا إزدواجيين وأن اللغة العربية لغة شبه أجنبية.ووجب علينا التأقلم مع هذا الوضع ومحاولة مسايرته لا معاندته .

وهذا ما دفعنا إلى الدعوة بضرورة الإستفادة ببعض طرق تدريس اللغات الأجنبية والتي تخلو مناهج تعليم اللغة العربية في الجامعات الجزائرية منها،وهي الطريقة السمعية الشفوية التي تمكن الطالب الجامعي من تكوين عادات لغوية بصورة فعالية عن طريق المران على القوالب النموذجية والوصول بالطالب الجامعي —على الأقل- إلى مستوى فصيح من البساطة واكتساب سلامة لغوية يمكن بناء آمال عليها للوصول إلى مستويات أعلى في تعليمية اللغة العربية.

الهوامش:

[1]:عباس محمود المصري وعماد أبو حسن ،الازدواجية اللغوية في اللغة العربية —مجمع 8-(1436هـ-2014م) ص38.

[2]:يعتقد ان أول من تحدث عن هذه الظاهرة هو اللغوي الألماني "كارل كرمباخر"1902 في كتاب صدر له عام 1902،تطرق فيه إلى هذه الظاهرة وأصولها وتطورها ،لكن الرأي الشائع في أدب هذه الظاهرة اللغوية هو أن العالم الفرنسي وليم مارسيه 1930 أول من نحت هذه الظاهرة اللغوية بالفرنسية (la diglossie) وعرفه في مقالة تخص الازدواجية في العربية عام 1930 بقوله :"هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث...

[3]:يون أون كيونغ ،أفضل منهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من وجهات نظر علم اللغة الاجتماعي ،الأستاذ العدد-201-سنة(1433هـ-2012م)،ص92.

[4]:المرجع نفسه ،ص92.

[5]:محمد زواوي ،دروس في التعبير الكتابي ،دار هومة ،بوزريعة،الجزائر،2003،ص176.

[6]: المرجع نفسه ،ص180.

[7]:صالح بلعيد ،مقالات لغوية ،سوء إتقان اللغة العربية –رأي في المسألة–،دار هومة ،بوزريعة،الجزائر،ص160-161.

[8]:ويكيبيديا الموسوعة الحرة، www.m.wikipedia.org.

[9]: صالح بلعيد ، سوء إتقان اللغة العربية، مرجع سابق، ص 159.

[10]:نصر الدين إدريس، طرق تدريس اللغة العربية الناطقين بغيرها ،جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية، إندونيسيا، www.lisanarabi.net/مقالات/ .htm/، 7:55،(2012/12/7).

[11]: سوء إتقان اللغة العربية، مرجع سابق، ص 160.

[12]:المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[13]:هذا التشبيه ليس تحقيرا لتلك الطريقة ،بل كان الغرض تبيان الفرق الواسع بين مستعمل قديم وحديث.

[14]: يون أون كيونغ ،أفضل منهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من وجهات نظر علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق ،ص 96.

[15]:يعتبر هذا من أهم المشاكل النفسية التي تقف أمام طالب اللغة العربية ،فقبل البدء في أي شيء يجب ان نعالج هذه المشكلة لفتح شهية الطالب أمام التعلم وإعادة نشر الوعي بأهمية العربية والعمل بها.

[16]: نصر الدين إدريس، طرق تدريس اللغة العربية الناطقين بغيرها، مرجع سابق.

[17]:النموذج المطبق عليه :المدرسة العليا لأساتذة اللغة الإنجليزية- التعليم الثانوي –قسنطينة،الجزائر.

[18]:في هذه الاختيارات ذكاء وخداع، فأنت تستغل ما يستهويه للحصول على ما يستهويك (اكتساب اللغة).

[19]: طرق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، مرجع سابق.

[20]: المرجع نفسه.